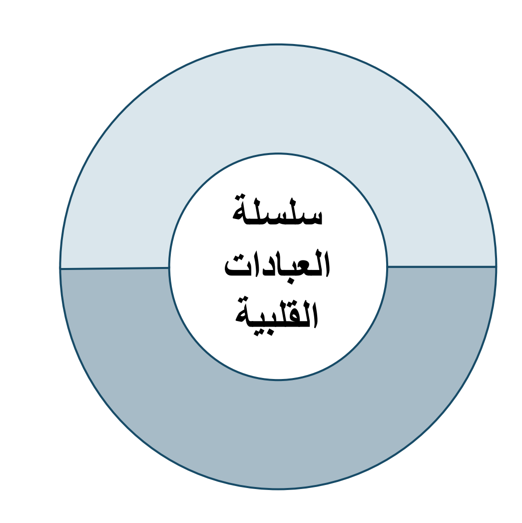


توحيد الله تعالى في عبادة

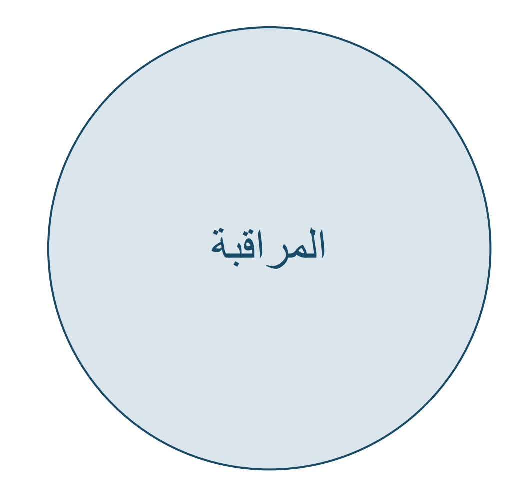
[المراقبة والمحاسبة]

مسائل عقدية وأحكام

(كتاب تفاعلي)

جمع وترتيب
منى الشمري





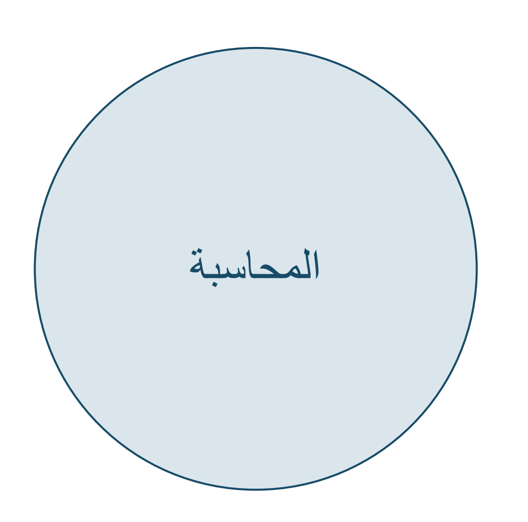
إِذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يَوماً فَلا تَقُل

خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ

وَلا تَحسَبَنَّ اللَهَ يُغفِلُ ما مَضى

وَلا أَنَّ ما يَخفى عَلَيهِ يَغيبُ

(أبو العتاهية)



المقدمة

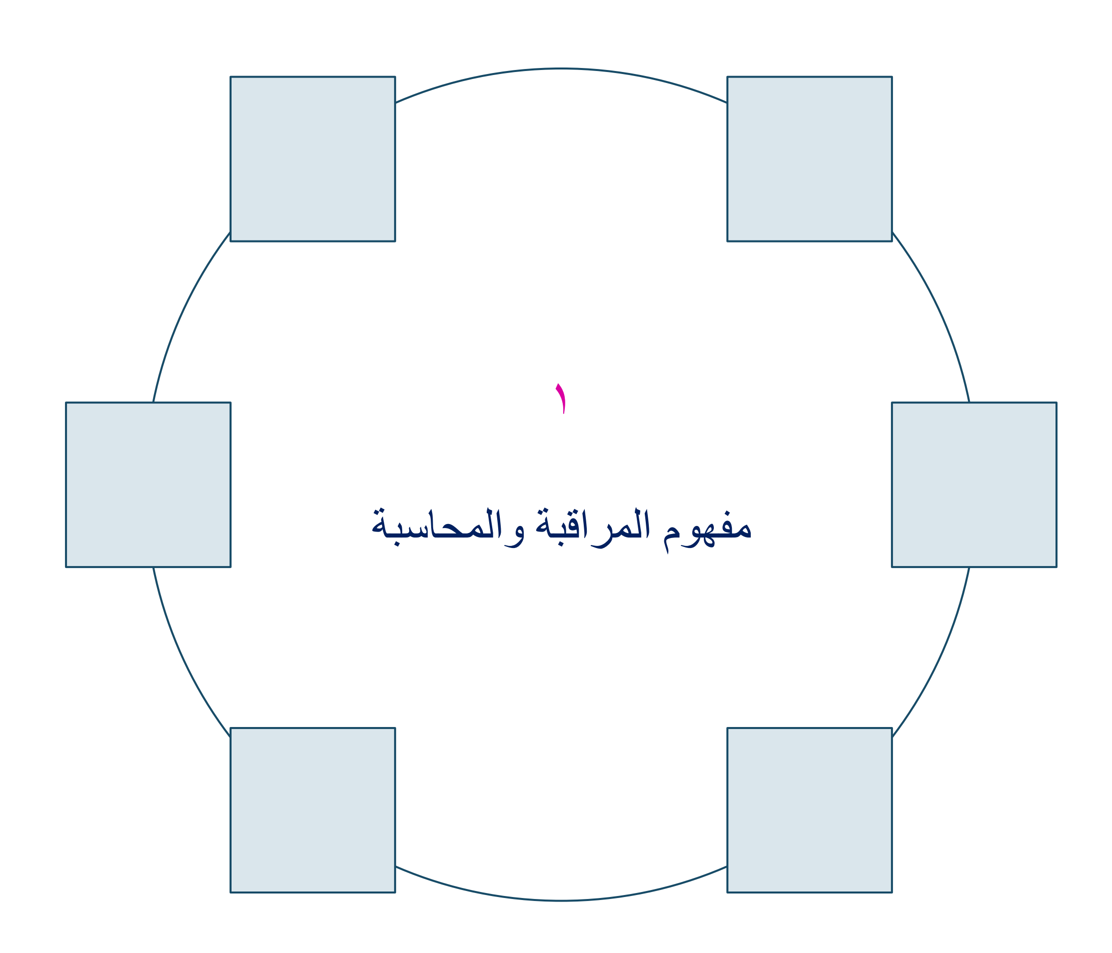
الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فإن مراقبة العبد لعمله ومعاملاته وأقواله ومحاسبته عليها عبادة قلبية واستقامة خفية، ينبغي لكل مسلم أن يتعبد الله تعالى بها؛ لما فيها من تعظيم لله تعالى في قلبه، وتقوية الإخلاص وتعاهد النيات، وحفظ الأوقات، وصولاً إلى مرتبة الإحسان التي حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن المراقبة والمحاسبة فرصة لزيادة الطاعات، وتجديد التوبة والاستغفار، وتربية النفس على الفضائل، وردعها عن المحرمات والمنهيات، ومن راقب الله تعالى تأدب معه غاية الأدب، وعندها لا يضيع له عمل.

اللهم ارزقنا خشيتك في السر والعلن، واجعلنا ممن يحاسبون أنفسهم ويخافون سوء الحساب.

المحتويات



١

مفهوم المراقبة والمحاسبة

المراقبة:

الرقيب: الحفيظ.

وارتقبه: انتظره ورصده.

والترقب: الانتظار، وكذلك الارتقاب. وقوله تعالى: {وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} [طه: ٩٤] معناه لم تنتظر قولي.

والترقب: تَنَظُّرُ وتَوَقُّعُ شيءٍ.

كتاب لسان العرب - ابن منظور- ج١ ص ٤٢٤ و ٣١٤

المحاسبة:

ح س ب: (حسبه) عده وبابه نصر وكتب

والمعدود (محسوب) ومنه قولهم: ليكن عملك بحسب ذلك بالفتح أي على قدره وعدده.

و (الحسب) أيضا ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، وقيل حسبه دينه، وقيل ماله.

كتاب مختار الصحاح - زين الدين الرازي – ص ١٢٦ وص٧٢

المراقبة:

دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه.

فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله.

وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين.

المحاسبة:

التمييز بين ما له وعليه، فيستصحب ما له، ويؤدي ما عليه، لأنه مسافر سفر من لا يعود.

كتاب مدارج السالكين - ابن القيم – ج٢ ص ٦٥



معنى المحاسبة:

معنى المحاسبة أن ينظر في رأس المال وفى الربح وفى الخسران؛ لتتبين له الزيادة من النقصان.

فرأس المال في دينه الفرائض، وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي.

وليحاسبها أولاً على الفرائض، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها ومعاقبتها ليستوفي منها ما فرط.

كتاب مختصر منهاج القاصدين – نجم الدين المقدسي – ص٣٧٤

معنى المحاسبة:

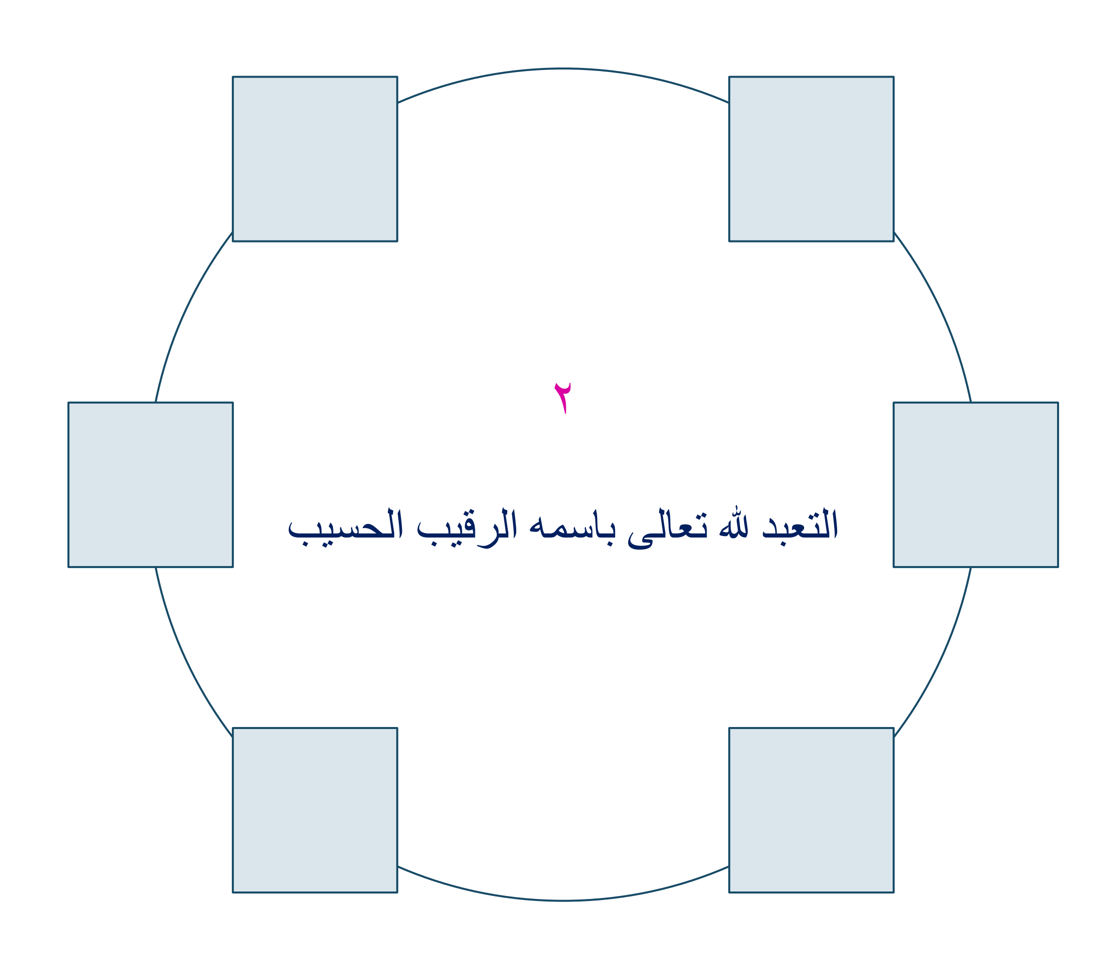
محاسبة الإنسان نفسه هو أن يتأمل ماذا فعل، وماذا ترك، وماذا قال، وماذا سكت عنه؛ حتى يحاسب نفسه.

فيقول مثلا: (لم تقولي الحق في موضع كذا وكذا، ولم تفعلي المعروف في موطن كذا وكذا)

ويقول: (فعلت المنكر في موضع كذا، قلت الزور في موضع كذا وكذا)

وهكذا يحاسب نفسه عما فعلت، وعما تركت، من أجل أن يقيم المعوج، ويزيل ما فيه الشر.

كتاب فتاوى نور على الدرب – محمد بن صالح العثيمين – ج٢٤ ص٢


٢
التعبد لله تعالى باسمه الرقيب الحسيب

التعبد بأسماء الله تعالى

قال ابن القيم:

المراقبة هي التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة.

مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٦٦)

المراقبة من آثار معرفة الأسماء الحسنى لله تعالى

هذه من أعظم فوائد معرفة الأسماء الحسنى، كثير من الناس لا يعتني بهذا الشأن وهذا الباب، بل معرفة الأسماء الحسنى ومعانيها وما تدل عليه من أولى ما يعتني به طالب العلم؛ لأن لها مدلولات.

وصنفت فيها المنصفات في معانيها، فمن حفظ ما يتعلق بها أدرك شيئاً من ذلك، ويرجى له أن يدخل في حديث:

(إنَّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسمًا مائةً غيرَ واحدةٍ، مَن أحصاها دخلَ الجنَّةَ) (١)

فالمراقبة من آثار معرفة هذه الأسماء الحسنى لله - سبحانه وتعالى -.

كتاب شرح زاد المستقنع - عبد الكريم الخضير – ج١ ص١٥

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٦١) باختلاف يسير، وأخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)

الرقيب:

هو سبحانه الرقيب المراعي أحوال المرقوب، الحافظ له جملة وتفصيلا، المحصي لجميع أحواله، وذلك راجع إلى العلم والمشاهدة،

وهو الإدراك والإحصاء.

وهو عد ما يدق ويجل من أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، وسائر أحواله وتصرفاته، ومراعاة وجوده وعدمه، وحياته وموته.

كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى - محمد بن أحمد القرطبي - ج١ ص ٤٠٤،٤٠٥

(الرقيب الشهيد)

"الرقيب والشهيد من أسمائه الحسنى وهما مترادفان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية.

وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان.

والرقيب المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير.

كتاب تفسير أسماء الله الحسنى – عبدالرحمن بن ناصر السعدي - ص ٢٠٧

التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]، {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة:٦].

لهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة، والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه"

كتاب تفسير أسماء الله الحسنى - عبدالرحمن ناصر السعدي – ص٢٠٨

الحسيب:

"الحسيب: هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

والحسيب بمعنى الرقيب المحاسب لعباده، المتولي جزاءهم بالعدل وبالفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق:٣] أي كافيه أمور دينه ودنياه.

والحسيب أيضًا هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشر، ويحاسبهم إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[الأنفال:٦٤] أي كافيك وكافي أتباعك، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به في متابعة الرسول ظاهرًا وباطنًا، وقيامه بعبودية الله تعالى".

كتاب تفسير أسماء الله الحسنى - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - ص ١٨٢

الأثر الإيماني لاسم الله تعالى الرقيب الحسيب:

من علم أن الله تعالى رقيب على حركات قلبه، وحركات جوارحه، وألفاظه السرية والجهرية، وهو مطلع على عمله؛ فإنه لا بد أن يثمر له ذلك مراقبة تصرفاته، ومعاملاته وعباداته، وسائر حياته، وفي ذلك صلاح دنياه وآخرته، بل بلوغه درجة الإحسان.

كما جاء في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فأجابه:

(أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ) (١).

موقع الدرر السّنية – الموسوعة العقدية - الآثار الإيمانية لاسم الله الرقيب

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كفى به سبحانه حاسبًا

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:٤٧]

يعني بذلك نفسه الكريمة، فكفى به حاسبًا: أي عالمًا بأعمال العباد حافظًا لها مثبتًا لها في الكتاب، عالما بمقاديرها ومقادير ثوابها وعقابها واستحقاقها، موصلا للعمال جزاءها.

كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن ناصر السعدي – ص٥٢٤

كفى به سبحانه حاسبًا

قال اللَّه تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [النساء: ٦] وقال سبحانه: {أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} [الأنعام: ٦٢]

والحسيبُ:

١ - هو الكافي للعباد جميع ما أهمّهم من أمر دينهم ودنياهم من حصول المنافع ودفع المضارّ.

٢ - والحسيب بالمعنى الأخصّ هو الكافي لعبده المتَّقي المتوكِّل عليه كفاية خاصة يصلح بها دينه ودنياه.

كتاب شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص١٣٣

كفى به سبحانه حاسبًا

هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشرٍّ ويحاسبهم، إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر، قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال:٦٤]

أي كافيك وكافي أتباعك.

فكفاية اللَّه لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ظاهراً وباطناً، وقيامه بعبودية اللَّه تعالى.

كتاب شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص١٣٤

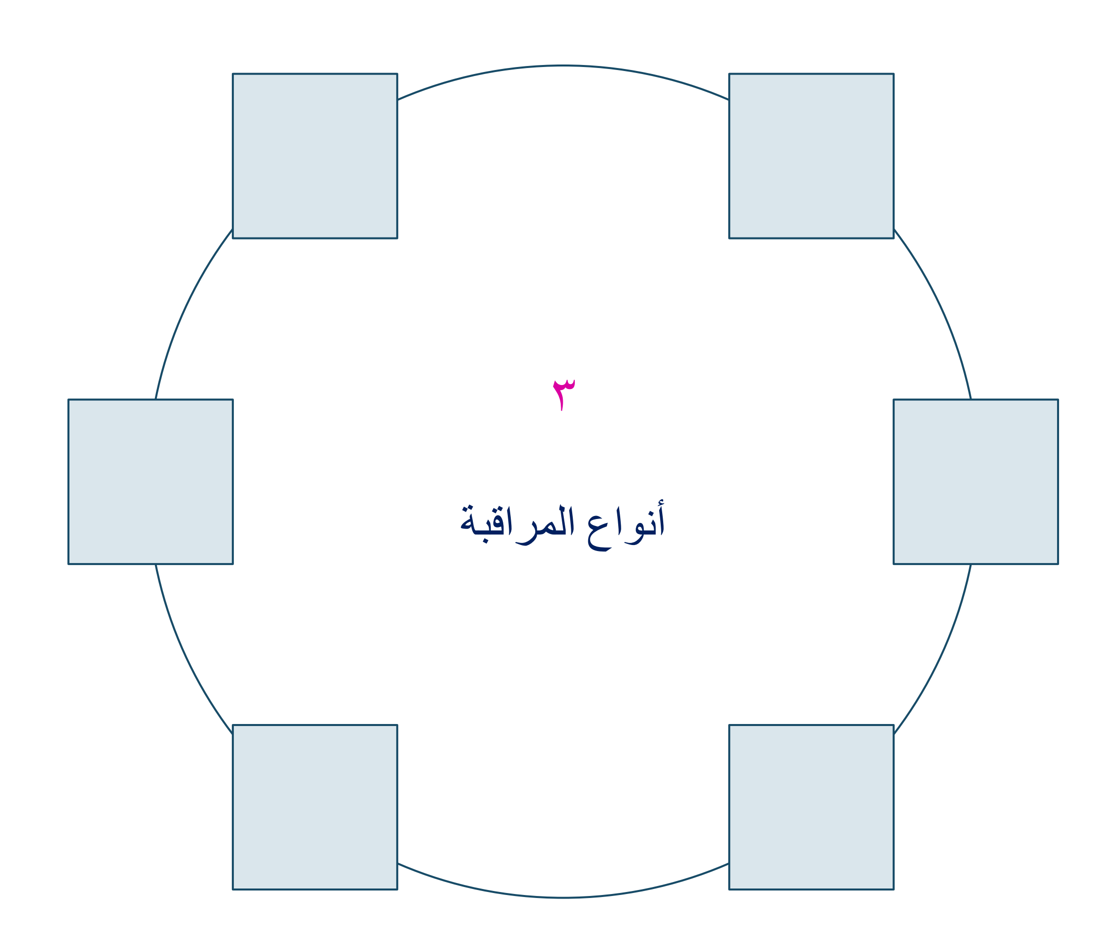


قال الطبري رحمه الله:

«هو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس، وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها؛ لأنه لا يحسب بِعَقْدِ يَدٍ، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين»

تفسير الطبري (٩/ ٢٩٣)




٣
أنواع المراقبة

المراقبة بالإحسان:

المراقبةُ أساسُ الأعمال القلبية كلها، وعمودها الذي قيامها به.

ولقد جمع النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - أصول أعمال القلب وفروعها كلها في كلمة واحدة، وهي قوله في الإحسان:

(أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ) (١)

فتأمل كل مقام من مقامات الدين وكل عمل من أعمال القلوب كيف تجد هذا أصله ومنبعه.

كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن القيم – ج٦ ص١١٢
(١) أخرجه البخاري (٥٠) واللفظ له، ومسلم (٩)



المراقبة بالشكر:

من أحسن المراقبة أن يكون العبد مراقبًا بالشكر على النعم.

والاعتراف بالإساءة.

والتعرض للعفو عن الإساءة.

فيكون قلبه لازمًا لهذا المقام في كل أعماله، فمتى ما غفل رده إلى هذا بإذن الله.

كتاب آداب النفوس - الحارث المحاسبي – ص٥٢

المراقبة لها وجهان:

١. الوجه الأول: أن تراقب الله عز وجل.

٢. والوجه الثاني: أن الله تعالى رقيب عليك كما قال تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً} [الأحزاب:٥٢].

كتاب شرح رياض الصالحين – محمد بن صالح العثيمين – ج١ ص٣٢٤

١- المراقبة - أن تراقب الله عز وجل:

أولاً: أما مراقبتك لله فأن تعلم أن الله تعالى يعلم كل ما تقوم به من أقوال وأفعال واعتقادات، كما قال الله تعالى:

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: ٢١٩/٢١٧]

يراك حين تقوم، أي: في الليل حين يقوم الإنسان في مكان خالٍ لا يطلع عليه أحد، فالله سبحانه وتعالى يراه، حتى ولو كان في أعظم ظلمة وأحلك ظلمة؛ فإن الله تعالى يراه.

قوله: {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: ٢١٩] أي: وأنت تتقلب في الذين يسجدون في هذه الساعة، يعني تقلبك فيهم، أي: معهم، فإن الله سبحانه وتعالى يرى الإنسان حين قيامه وحين سجوده؛ ولهذا أمرنا أن نكثر من الدعاء في السجود.

كتاب شرح رياض الصالحين – محمد بن صالح العثيمين – ج١ ص٣٢٤

١- المراقبة - أن تراقب الله عز وجل:

ثانيًا: كذلك من مراقبتك لله أن تعلم أن الله يسمعك، فأي قول تقوله فإن الله تعالى يسمعك؛ كما قال الله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠] بلى: يعني نسمع ذلك.

ومع هذا فإن الذي تتكلم به خيرًا كان أم شرا معلَناً أم مُسَرًا فإنه يكتب عليك ، كما قال الله تبارك وتعالى :{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [قّ: ١٨] فراقب هذا الأمر.

إياك أن تخرج من لسانك قولا تحاسب عليه يوم القيامة ، اجعل دائما لسانك يقول الحق أو يصمت، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيصمْتْ) (١)

كتاب شرح رياض الصالحين – محمد بن صالح العثيمين – ج١ ص٣٢٤

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)

١ ـ المراقبة ـ أن تراقب الله عز وجل:

ثالثًا: أن تراقب الله تعالى في سرك، في قلبك، ماذا في قلبك؟! شرك بالله، رياء، انحرافات، حقد على المؤمنين، بغضاء، كراهية، محبة للكافرين وما أشبه ذلك من الأشياء التي لا يرضاها الله عز وجل.

راقب قلبك، تفقده دائمًا؛ فإن الله يقول: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُه} [ق:١٦] قبل أن ينطق به، فراقب الله في هذه **المواضع الثلاث:** في فعلك، في قولك، في سريرتك في قلبك؛ حتى يتم لك المراقبة.

ولهذا لما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان قال: (أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ) (٢): اعبد الله كأنك تراه كأنك تشاهده رأي عين، فإن لم تكن تراه فانزل إلى المرتبة الثانية: فإنه يراك.
فالأول: عبادة رغبة وطمع أن تعبد الله كأنك تراه، والثاني: عبادة رهبة وخوف ولهذا قال : (فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ)، فلابد من أن يراقب الإنسان ربه.

كتاب شرح رياض الصالحين – محمد بن صالح العثيمين – ج١ ص٣٢٤
(١) أخرجه البخاري (٥٠) واللفظ له، ومسلم (٩)

٢- المراقبة - أن الله عز وجل رقيب عليك:

أن تعلم أن الله رقيب عليك، أي شيء تقوله، أو تفعله، أو تضمره في سرك فالله تعالى عليم به.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ} [آل عمران:٥] (شَيْءٌ) نكرة في سياق النفي في قوله: (لا يَخْفَى) فتعم كل شيء، فكل شيء لا يخفى على الله في الأرض ولا في السماء.
وقد فصل الله هذا في قوله تبارك وتعالى: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام:٥٩]

قال العلماء: إذا كانت الأوراق الساقطة يعلمها؛ فكيف بالأوراق النامية التي ينبتها ويخلقها؛ فهو بها أعلم عز وجل.
إذن من كان هذا سعة علمه فعلى المؤمن أن يراقب الله سبحانه وتعالى، وأن يخشاه بالسر كما يخشاه في العلانية، بل الموفق الذي يجعل خشية الله في السر أعظم وأقوى من خشيته في العلانية؛ لأن خشية الله في السر أقوى في الإخلاص، ليس عندك أحد، لكن خشية الله في العلانية ربما يقع في قلبك الرياء ومراءاة الناس.

كتاب شرح رياض الصالحين – محمد بن صالح العثيمين – ج١ ص٣٣١

المراقبة على ضربين:

راقب من يراك على كل حال، وما زال نظره إليك في جميع الأفعال، وطهر سرك فهو عليم بما يخطر بالبال.

المراقبة على ضربين:

مراقبة الظاهر لأجل من يعلم، وحفظ الجوارح عن رذائل الأفعال، واستعمالها حذراً ممن يرى.

فأما مراقبة الباطن فمعناها أدب القلب من مساكنة خاطر لا يرضاه المولى، وأجد السير في مراعاة الأولى.

وأما مراقبة الظواهر فهي ضبط الجوارح عن رذائل الأفعال، واستعمالها في معالي الأعمال.

كتاب مواعظ ابن الجوزي – جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي - ص١٠٧



أحوال [جمعت المراقبة والمحاسبة]

قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يومَ القِيَامَةِ في ظِلِّهِ، يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ في خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسْجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ إلى نَفْسِهَا، قالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما صَنَعَتْ يَمِينُهُ"

أخرجه البخاري (٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١)

عبادات تورث المراقبة: [الصيام]

كيف الصيام دون غيره يورث منزلة المراقبة؟ لأن الصيام سر بين العبد وربه، بإمكانه أن يفطر والناس لا يشعرون، بإمكانه أن يفطر والناس لا يدرون به، بينما العبادات الأخرى يراه الناس، فإذا كان يصوم والناس لا يرونه، ويثبت على صيامه، الصيام الشرعي، لا شك أنه يراقب الله - جل وعلا- في صيامه.

وإذا تولدت عنده هذه الملكة، وهذه المنزلة، منزلة المراقبة اتقى الله، وترك ما حرم الله، وفعل ما أمره الله به، ولذا جاء في الحديث القدسي: (الصَّوْمُ لي وأنا أجْزِي به) (١) سر بين العبد وربه، ما الذي يمنعه أن يدخل في غرفته ويحكم إغلاق الباب، وكثير من الغرف الآن لما وسع الله على الناس فيها كل ما يحتاجه الإنسان، لو يغلق عليه الباب – باب غرفته - أيام ما تأثر، عنده الثلاجة، وعنده فيها الأكل والشراب، فيها كل ما يحتاجه، والله المستعان.
فإذا ترك هذا من أجل الله - جل وعلا - لا شك أن هذه مراقبة في الخلوة، والمراقبة في الخلوة تبعث على مراقبة الجلوة، يعني بين الناس.
وهذه المنزلة منزلة عظيمة جدًا، قد لا تحصل لكثيرٍ من المسلمين، منزلة بعد الإيمان كما في حديث جبريل، فالإنسان عليه أن يسعى لتحصيلها.

كتاب شرح عمدة الأحكام - عبد الكريم الخضير – ج٢٢ ص١٨
(١) أخرجه البخاري (٧٤٩٢) واللفظ له، ومسلم (١١٥١).

عبادات تورث المراقبة: [ذكر الله تعالى]

في الذكر أكثر من مائة فائدة منها:

أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

كتاب الوابل الصيب - ابن القيم – ص٤٢



عبادات تورث المراقبة: [ذكر الله تعالى]

أفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان .

وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويردع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئًا من ذلك الإثمار ، وإن أثمر شيئا منها فثمرته ضعيفة.

كتاب الوابل الصيب – ابن القيم – ص٨٩

عبادات تورث المراقبة: [التفكر والتأمل في خواطر النفس]

دافع الخطرة فإن لم تفعل صارت فكرة.

فدافع الفكرة فان لم تفعل صارت شهوة فحاربها.

فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها صارت فعلاً.

فإن لم تتداركه بضده صار عادة فيصعب عليك الانتقال عنها.

كتاب الفوائد - ابن القيم – ص٣١

الصحبة الصالحة طريق للمراقبة:

الخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة، أو يحذرك من الإقامة على ما يضرك؛ فيحثك على طاعة الله وبر الوالدين وصلة الأرحام، ويبصرك بعيوب نفسك، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها بقوله وفعله وحاله.

فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة، يقود بعضها بعضا إلى الخير، أو إلى ضده.

وأقل ما تستفيده من الجليس الصالح - وهي فائدة لا يستهان بها - أن تكف بسببه عن السيئات والمعاصي رعاية للصحبة، ومنافسة في الخير، وترفعا عن الشر، وأن يحفظك في حضرتك ومغيبك، وأن تنفعك محبته ودعاؤه في حال حياتك وبعد مماتك، وأن يدافع عنك بسبب اتصاله بك، ومحبته لك، وتلك أمور لا تباشر أنت مدافعتها، كما أنه قد يصلك بأشخاص وأعمال ينفعك اتصالك بهم.

وفوائد الأصحاب الصالحين لا تعد ولا تحصى. وحسب المرء أن يعتبر بقرينه، وأن يكون على دين خليله.

ولهذا كان من أعظم نعم الله على العبد المؤمن أن يوفقه لصحبة الأخيار. ومن عقوبته لعبده أن يبتليه بصحبة الأشرار.

صحبة الأخيار توصل العبد إلى أعلى عليين، وصحبة الأشرار توصله إلى أسفل سافلين.

صحبة الأخيار توجب له العلوم النافعة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، وصحبة الأشرار تحرمه ذلك أجمع.

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان:٢٧–٢٩] .

كتاب بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار – عبد الرحمن ناصر السعدي – ص١٥٦

الصحبة الصالحة طريق للمراقبة:

فتش نفسك أنت

فأنت بنفسك إذا رأيت من أصحابك أنهم يدلونك على الخير، ويعينونك عليه، وإذا نسيت ذكروك، وإذا جهلت علموك، فاستمسك بحجزهم وعض عليهم بالنواجذ.

وإذا رأيت من أصحابك من هو مهمل في حقك، ولا يبالي هل هلكت أم بقيت، بل ربما يسعى لهلاكك، فاحذره؛ فإنه السم الناقع - والعياذ بالله - لا تقرب هؤلاء، بل ابتعد عنهم، فر منهم فرارك من الأسد.

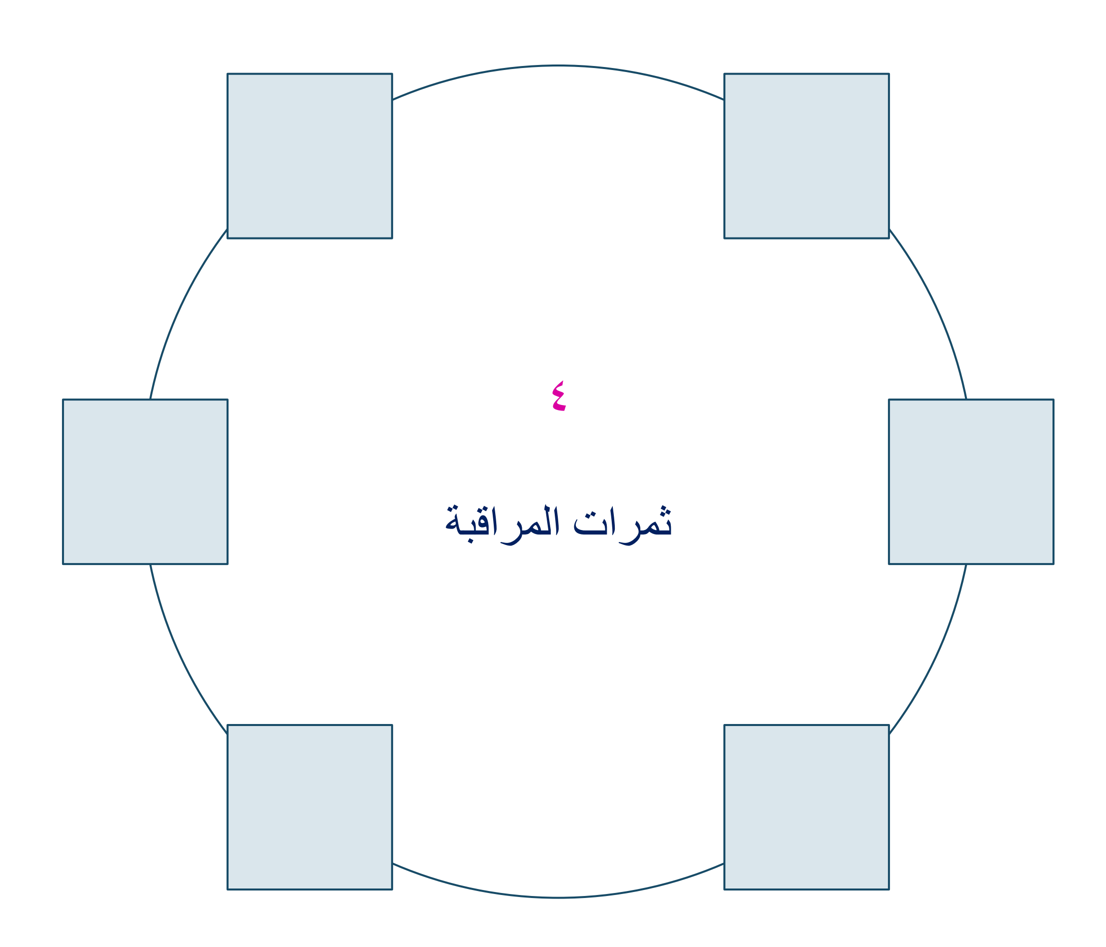
والإنسان الموفق هو الذي لا يكون بليدًا كالحجر، بل يكون ذكيًا كالزجاجة، فإنها صلبة ولكن يرى ما وراءها من صفاء، فيكون عنده قوة وصلابة، لكن عنده يقظة بحيث يعرف وكأنما يرى بالغيب ما ينفعه مما يضره، فيحرص على ما ينفعه، ويتجنب ما يضره.

كتاب شرح رياض الصالحين – محمد بن صالح العثيمين – ج٤ ص١٨



(اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك أَنْ لَا تَرَانَا حَيْثُ نَهَيْتَنَا، وَلَا تَفْقِدَنَا مِنْ حَيْثُ أَمَرْتَنَا)




٤
ثمرات المراقبة

١ – المراقبة تبعث على الإخلاص

إذا راقب العبد ربه وعلم أنه مطلع على نيته ومقصده؛ بعثه ذلك إلى إخلاص عمله لله عز وجل؛ خوفًا وحياء من ربه أن يطلع على قلبه وفيه فلان وفلان من الناس، بل يبعثه ذلك – أيضًا - إلى إخفاء عمله عن أعين الناس، كما في السبعة الذين يظلهم الله في ظله، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» (١)

فهذا راقب الله، وأراد أن يكون عمله خالصًا لوجهه سُبْحَانَهُ، حتى أن جزءًا من جسده وهو يده لم تعلم ما أنفقت يمينه،

وهذا من كمال إخلاصه وتجرده لله تعالى.

كتاب موسوعة شرح أسماء الله الحسنى - نوال بنت عبد العزيز العيد – ج٣ ص١١١

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٢٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٣١).

٢ – المراقبة تحمل على البعد عن المعاصي والسيئات

الحق عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد؛ لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه، البعيد منه، فأمره بقصد بيته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له.

فقلوب الجهال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط.

كتاب صيد الخاطر - جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي – ص٢١٣

٢ – المراقبة تحمل على البعد عن المعاصي والسيئات

إذا علمت أن الله عليم بما يجول في نفسك، وبما تهم به من طاعة أو معصية، وأنه يطلع على ضميرك، ويعلم ما في قلبك؛ حملك ذلك على ألا تعمل إلا خيرًا، وعلى ألا تحدث نفسك إلا بخير، فبذلك تكون من أهل الخير.
أما الإنسان الذي يتجاهل أو يظن أن الله لا يعلمه ولا يعلم أحواله؛ فإن هذا التجاهل أو الجهل هو الذي يوقعه في العصيان ويجرئه على المخالفات، فكأنه يعتقد أنه لا يراه ربه وأنه سيختفي.

ذكر ابن أم عبد أن ثلاثة من قريش جلسوا في المسجد الحرام يقول: (قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم، فقال أحدُهم: أُتُرَوْنَ أنَّ اللهَ يسمَعُ كلامَنا هذا؟ فقال الآخَرُ: إنَّا إذا رفعنا أصواتَنَا سَمِعَهُ وإذا لَمْ نَرْفَعْ أصواتَنا لم يَسْمَعْهُ، فقال الآخَرُ: إنْ سَمِعَ منهُ شيئًا سَمِعَهُ كُلَّهُ. قال عبدُ اللهِ فذَكَرْتُ ذَلِكَ للنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأنزلَ اللهُ: {وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت:٢٢-٢٣] (١) فهؤلاء الذين ظنوا أن الله لا يعلم أعمالهم حصل لهم أنهم أكثروا من السيئات، وتجرؤوا على المحرمات، ووقعوا في الذنوب؛ فكان ذلك سبباً في شقائهم وإن كان ذلك مكتوباً عليهم في الأزل؛ لكن وقع منهم سبب وافق ما قدره الله عليهم، فعلى العبد إذا علم أن الله تعالى عليم بأحواله وبوساوسه وبخطرات قلبه وبأعماله أن يحمله هذا الاعتقاد على أن يراقب ربه، وعلى ألا يخالفه طرفة عين.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية – عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين – ج٢٧ ص٥

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٦)، ومسلم (٢٧٧٥) باختلاف يسير.

٢ – المراقبة تحمل على البعد عن المعاصي والسيئات

إذا عرف العبد أن الله معه فلا شك أنه يراقب الله، يعرف أن الله مطلع عليه، وأنه لا يخفى عليه منه خافية، كما في قوله تعالى:
{الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩)} [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

فإذا آمن بأن الله معه أي: عالم به ومطلع عليه ورقيب على أعماله فإن ذلك يحمله على مراقبة الله وعلى خوفه، وعدم الخروج عن طاعته، وعدم ارتكاب شيء من معاصيه،

تقول له نفسه وقلبه: كيف تتجرأ عليه وهو معك؟ كيف تعصيه وتنتهك حرماته وهو مطلع عليك؟ كيف تتجرأ على مخالفته وهو مراقب لك ولأعمالك؟ ويحمله هذا على إصلاح الأعمال وعدم إفسادها، وعلى الإكثار من الحسنات والبعد عن السيئات.

كتاب التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية - عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين – ج١ ص٢٤٢

٣ – المراقبة سبب لرضا الرحمن ودخول الجنان

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك:١٢] أي: في جميع أحوالهم.

حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به.

{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم.
ولهم أجر كبير: وهو ما أعده لهم في الجنة من النعيم المقيم والملك الكبير واللذات المتواصلات والمشتهيات والقصور والمنازل العاليات والحور الحسان والخدم والولدان.

وأعظم من ذلك وأكبر رضا الرحمن الذي يحله الله على أهل الجنان.

كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن ناصر السعدي – ص٨٧٦

٤ – المراقبة توصل إلى النظر إلى وجه الله عز وجل

{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]

مناسبة بين الإحسان وبين النظر إلى وجه الله عز وجل، ووجه ذلك أن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عيانا في الآخرة.

وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الكفار في الآخرة: {إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران على قلوبهم؛ حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة.

كتاب جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلي - ج١ ص١٢٥

٥- المراقبة تحفظ الجوارح:

هذه الجوارح السبعة ــ وهي العين، والأذن، والفم، واللسان، والفرج، واليد، والرِّجل ــ هي مركب العَطَب والنجاة، فمنها عطب مَنْ عطب بإهمالها وعدمِ حفظها، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها، فحِفْظُها أساس كل خير، وإهمالها أساس كل شر.
قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} [النور: ٣٠]
وقال تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: ٣٧]
وقال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦]
وقال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء: ٥٣]
وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: ٧٠]
وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [الحشر: ١٨].

فإذا شارطها على حفظ هذه الجوارح انتقل منها إلى مطالعتها والإشراف عليها ومراقبتها، فلا يُهملها، فإنه إن أهملها لحظة وقعتْ في الخيانة ولا بدَّ، فإن تمادى على الإهمال تمادت في الخيانة حتى يذْهَبَ رأس المال كلُّه، فمتى أحسّ بالنقصان انتقل إلى المحاسبة؛ فحينئذٍ يتبيَّنُ له حقيقة الربح والخسران، فليجتهد في مراقبته ومحاسبته، وليحذر من إهماله.
ويُعينه على هذه المراقبة والمحاسبةِ معرفتُه أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غدًا إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غدًا.

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان – ابن القيم – ج١ ص١٣٦

قال ابن القيم:

" أرباب الطريق مجمعون على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لحفظها في حركات الظواهر، فمن راقب الله في سره حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته"

مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٦٦)

٦- المراقبة تورث الفراسة

كان شاه بن شجاع الكرماني لا تخطئ له فراسة، وكان يقول: "من عُمّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات - وذكر خصلة خامسة - وهي أكل الحلال لم تخطئ له فراسة.

والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله؛ فمن غض بصره عما حرم يعوضه الله عليه من جنسه بما هو خير منه؛ فيطلق نور بصيرته، ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب.

كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج٢١ ص٢٥٧

٧- المراقبة تورث لذة العبادة:

إذا حقق المسلم منزلة المراقبة واستحضر قرب الله منه استحيا منه، يعني لو تصورنا أن الزاني وهو يزاول هذه الفاحشة يستحضر أن الله - جل وعلا - مطلع عليه، ما أقدم على هذه المعصية.
لو استحضرنا أن المرابي وهو يعقد الصفقة يستحضر أن الله مطلع عليه وأنه يزاول حرب الله - جل وعلا - ما أقدم على هذا العمل، لكن الذي يقود إلى هذه الأمور الغفلة؛ والغفلة عقوبة من الله - جل وعلا -، سببها ما يغطي القلوب من غشاوة الذنوب، هذا هو الران.

إذا حقق المسلم منزلة المراقبة واستحضر قرب الله منه واستحيا منه، وترك ما يسخطه بل ما لا يقرب إليه، واهتم بما يقرب منه حتى تقر عينه بعبادته، ويأنس بمناجاته، ويستوحش من غيره.
يعني نسمع في سير المتقدمين التلذذ بمناجاة الله، الوحشة من مجالسة المخلوقين، أظن هذا ضرب من الخيال لماذا؟ لأن الإنسان يؤدي هذه العبادة على وجه قد لا يكتب له من أجرها شيئا، يأتي بشروطها وأركانها، لكن لا يحضر قلبه في جزء منها، مثل هذه العبادة يتلذذ بها صاحبها؟ يرتاح بها المتعبد؟
هذه الصلاة التي يكبر تكبيرة الإحرام ويسلم وما استحضر منها شيء مثل هذه العبادة يتلذذ بها صاحبها؟! يتلذذ بمناجاة ربه إذا سجد وانطرح بين يديه؟ أبدًا، تجده متى ينتهي من أداء هذه العبادة الآن وجدت الساعات في جدران المساجد تجد الإنسان ينظر إليها من دخوله من تكبيره الإحرام إلى السلام وعينه في الساعة متى ينتهي؟ لماذا؟ يروح يستأنس مع فلان وعلان، عكس ما عليه سلف هذه الأمة، من أنسهم بالله وتلذذهم بمناجاته واستيحاشهم من غيره.

كتاب دروس - الشيخ عبد الكريم الخضير – ج١٣ ص١٧

٨- المراقبة تورث الحياء من الله تعالى:

المؤمن يراقب ربه ويعلم أنه سبحانه يراه ويشاهده ويعلم حركاته وسكناته فليحذر أن يقيم على معصيته، وليحذر أن يبتعد عما أوجب عليه؛ فإن الله سبحانه عليم بأحوال عباده لا تخفى عليه خافية.

فالواجب على كل مكلف أن يستقيم على أمر الله، وأن يتباعد عن مناهي الله، وأن يحذر أن يراه الله على معصيته، أو يراه تاركًا لما أوجب عليه؛ فإنه لا تخفى عليه خافية جل وعلا.

فالمقام مقام العبودية يحتاج إلى صدق في العمل ونصح في العمل؛ حتى كأنك تشاهد ربك عند عملك فتستحي منه سبحانه وتعالى أن يراك على معصيته أو يراك مقصرًا في أداء الواجب.

كتاب شرح رياض الصالحين - عبدالعزيز بن باز – ج١ ص١٤٥

٩- المراقبة سبب في حسن الخاتمة:

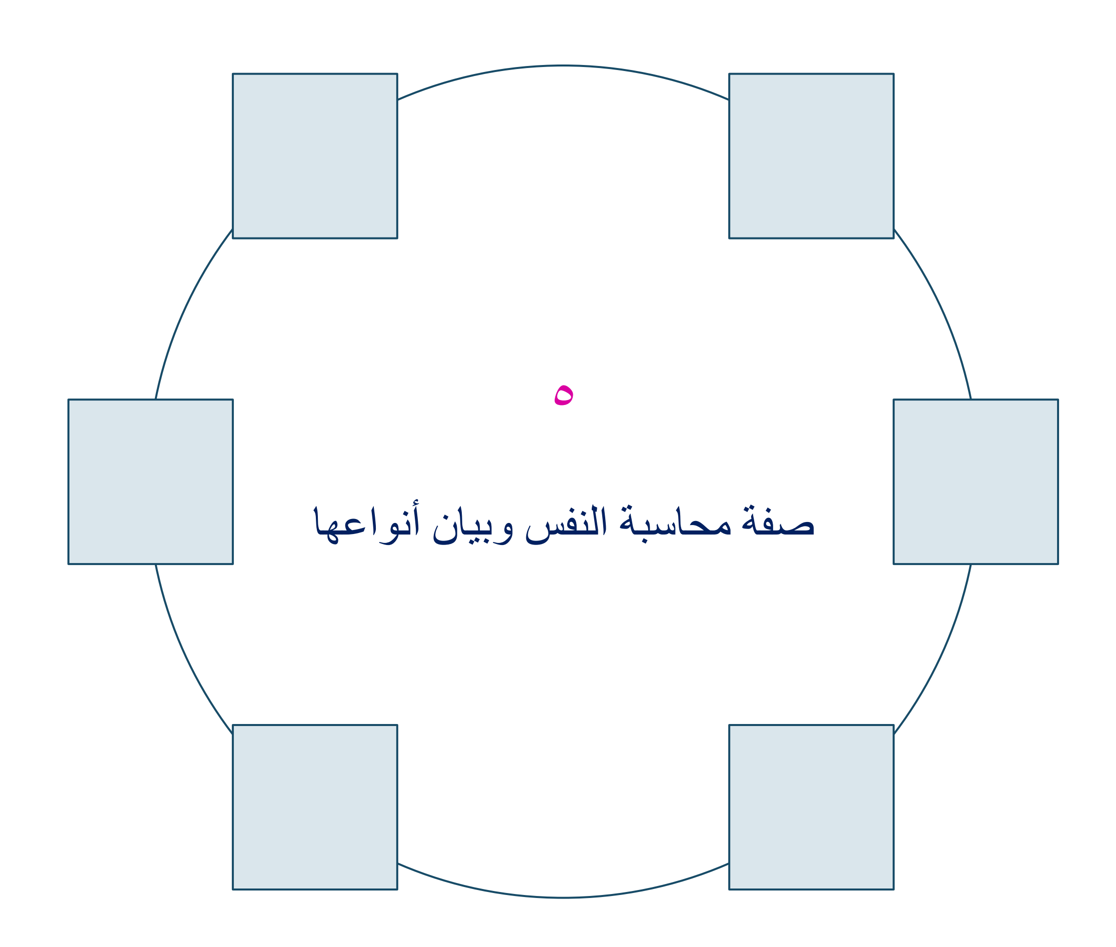
الحديث:
"بَيْنَما رَجُلٌ وَاقِفٌ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بعَرَفَةَ، إذْ وَقَعَ مِن رَاحِلَتِهِ، قالَ أَيُّوبُ: فأوْقَصَتْهُ، أَوْ قالَ فأقْعَصَتْهُ، وقالَ عَمْرٌو: فَوَقَصَتْهُ، فَذُكِرَ ذلكَ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: اغْسِلُوهُ بمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ في ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، قالَ أَيُّوبُ، فإنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يومَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا، وَقالَ عَمْرٌو، فإنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يومَ القِيَامَةِ يُلَبِّي" (١)

قال النَّبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم:
"يُبعَثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه المُؤمِنُ على إيمانِه والمُنافِقُ على نِفاقِه"(٢)

{حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)} [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦).
(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٣١٣)




٥
صفة محاسبة النفس وبيان أنواعها

صفة المحاسبة

الإنسان إذا أوى إلى فراشه وأتى بأذكار النوم ذكر ما فعله من الطاعات، واستغفر عن التقصير، ولام نفسه على ذلك،

وإن وُجدت مخالفات أو ذنوب صغائر أو كبائر بادر بالتوبة منها، فلا ينام إلا على مثل ذلك.

وابن عمر - رضي الله عنه - لا ينام إلا بعد صلاة؛ لتكون خاتمة أعماله.

كتاب شرح سنن الترمذي - عبد الكريم الخضير– ج١٦ ص١٥

صفة المحاسبة

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [الحشر:١٨]

عمر رضي الله عنه يقول: "حاسبوا أنفسكم" لأن المحاسبة ينشأ عنها مراقبة لله جل وعلا، وينشأ عنها عدم تكرار ما وقع من خطأ.

والمسلم لو كل ليلة كل ما أوى إلى فراشه قال: أنا صنعت كذا، وصنعت كذا، وصنعت كذا من الواجبات، وصنعت من المستحبات، وصنعت من المحرمات، وتاب إلى الله جل وعلا، وندم على ما حصل منه، يعني صار على خير عظيم، فالمحاسبة لا بد منها؛ ليكون الإنسان على بينة.

كتاب شرح عمدة الأحكام - عبد الكريم الخضير – ج٥١ ص١٤

محاسبة النفس نوعان:

محاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.

فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.
قال الحسن رحمه الله: رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر.

وشرح هذا بعضهم فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهم به العبد، وقف أولا ونظر: هل ذلك العمل مقدور له أو غير مقدور ولا مستطاع؟ فإن لم يكن مقدورا لم يقدم عليه، وإن كان مقدورا وقف وقفة أخرى ونظر: هل فعله خير له من تركه، أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه، وإن كان الأول وقف وقفة ثالثة ونظر: هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟ فإن كان الثاني لم يقدم، وإن أفضى به إلى مطلوبه، لئلا تعتاد النفس الشرك. ويخف عليها العمل لغير الله، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى، حتى يصير أثقل شيء عليها، وإن كان الأول وقف وقفة أخرى ونظر هل هو معان عليه، وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجا إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه.
فهذه أربعة مقامات يحتاج إلى محاسبة نفسه عليها قبل الفعل، فما كل ما يريد العبد فعله يكون مقدورا له، ولا كل ما يكون مقدورا له يكون فعله خيرا له من تركه، ولا كل ما يكون فعله خيرا له من تركه يفعله لله، ولا كل ما يفعله لله يكون معانا عليه، فإذا حاسب نفسه على ذلك تبين له ما يقدم عليه، وما يحجم عنه.

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان – ابن القيم – ج١ ص٨١

قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في هذا الحديثِ القُدسيِّ الذي يَرْويه عن ربِّه عزَّ وجلَّ:

"مَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ له حَسَنَةً، ومَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَعَمِلَها كُتِبَتْ له عَشْرًا إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ، وإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ"

أخرجه مسلم (١٣٠)

محاسبة النفس نوعان:

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل، وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى، فلم توقعها على الوجه الذى ينبغي.

وحق الله تعالى فى الطاعة ستة أمور وهى: الإخلاص فى العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول فيه، وشهود مشهد الإحسان فيه، وشهود منة الله عليه فيه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله فيحاسب نفسه هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها فى هذه الطاعة؟.

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيرًا له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد، لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحًا، أو أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به.

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان – ابن القيم – ج١ ص٨٢



الأمور التي يحاسب بها الإنسان نفسه:

الشيء الأول: ما الذي أودعناه في العام الماضي؟

الشيء الثاني: ماذا أعددنا للعام المقبل؟

وكلاهما يحتاج إلى عناية.

كتاب اللقاء الشهري – محمد بن صالح العثيمين – ج٢٧ ص٢

الأول: ما الذي أودعه الإنسان في عامه الماضي؟

هل كان قائماً بالواجبات التي لله عز وجل والتي لعباده، أم هو مفرط مهمل مضيع؟ هل أخلص لله في عبادته؟ هل محَّص عمله في اتباع شريعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟

هل قام بالصلاة على ما ينبغي؟ هل صلاها في أوقاتها؟ هل صلاها مع الجماعة؟ هل أدى شروطها وأركانها على ما يجب؟ هل أدى زكاة ماله؟ هل أحصاه إحصاءً دقيقاً وكأن مستحقي الزكاة يحاسبونه محاسبة دقيقة؟ هل أتقن صيام رمضان؟ هل قام فيه بما يجب؟ هل أتقن حجه إن كان قد حج؟

هل قام ببر والديه؟ هل قام بصلة أرحامه؟ هل قام بالإحسان إلى جيرانه؟ هل قام برحمة الأيتام؟ هل قام برحمة البهائم؟ هل قام بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ هل قام بالدعوة إلى الله عز وجل؟ هل قام بما يجب عليه من الإنفاق على أهله؟ هل قام بما يجب عليه من دفع أثمان المبيعات وأجور الأجراء؟

كل هذه تساؤلات يجب أن يعرف الإنسان الجواب عليها، إن كان قد فرط فيها فليتب إلى الله وليتدارك ما يمكن تداركه، وإن كان قد قام بما يستطيع وحسب ما أوجب عليه فليحمد الله على ذلك، وليسأل الله الثبات عليه.

كتاب اللقاء الشهري – محمد بن صالح العثيمين – ج٢٧ ص٢

الثاني: ماذا أعددنا للعام المقبل؟

انظر يا أخي ماذا أعددت للسنة المقبلة، هل أعددت نشاطاً في فعل الخير، فأنفذ ذلك وأمضه، فإن العزيمة على الرشد تكون رشداً إذا فعله الإنسان، أما مجرد العزيمة بدون أن يكون هناك حركة فإنها تمنٍّ يصح أن نصف صاحبها أنه عاجز، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (الكيِّسُ من دان نفسَهُ وعمِلَ لما بعدَ الموتِ والعاجزُ من أتبعَ نفسَهُ هواها وتمنّى على اللهِ الأمانيَّ) (١)

رتب وقتك حتى ينزل الله لك فيه البركة، رتبه ولكن لا تجعل هذا الترتيب أمراً متعيناً، لا. بل هو على حسب الحال، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أفضل من الفاضل، لكن رتب نفسك، رتب عملك، فقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (أَحَبَّ العَمَلِ إلى اللهِ أَدْوَمُهُ وإنْ قَلَّ) (٢).

أما من أهمل نفسه ولا يبالي أعمل أم لم يعمل! أنشط أم كسل! فهذا لا شك أنه مفرط، وأنه سيضيع عليه الوقت وسيندم يوم لا ينفع الندم، لأنه أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، قال: أنا إن شاء الله مؤمن، أنا سأكون من أهل الجنة، أنا سأكون كذا، ولكنه ليس معه عمل لا بد من عمل.

كتاب اللقاء الشهري – محمد بن صالح العثيمين – ج٢٧ ص٢

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٩)، وأحمد (١٧١٦٤) مختصراً، وابن ماجه (٤٢٦٠) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨)

الأمور التي يحاسب بها الإنسان نفسه:

العاقل يحاسب نفسه ويجاهدها وينظر، ولا يسكت ولا يغفل، بل ينظر ماذا عمل؟! وماذا قدَّم لآخرته؟! كما يقول سبحانه:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر:١٨-٢٠] .

فالعاقل ينظر ماذا قدَّم لآخرته؟ ماذا حصل منه ضد الباطل؟ ماذا عمل لسعادة أهله وأولاده وجيرانه وجماعته؟ لا يغفل، لا بد أن ينظر دائماً هل هو في خسارة أم في ربح، في سعادة أم في شقاء، في هدى أم في ضلال.

ينظر ويحاسب نفسه دائماً، ويلزمها بالحق الذي عرفه؛ بالمحافظة على الصلاة في جماعة، بأداء الزكاة، بر الوالدين، صلة الرحم، صدق الحديث، البعد عن أنواع الفساد، صحبة الأخيار، ترك صحبة الأشرار، هكذا يحاسب نفسه.
إن كان يتعاطى مسكرات حاسب نفسه وترك المسكرات، وإن كان يجالس الأشرار حاسب نفسه وابتعد عنهم، ينظر هل يستفيد أم يتضرر، هل هو يعمل لآخرته أم يعمل للنار.

كتاب دروس – عبدالعزيز بن باز – ج١٥ ص ١٠

الأمور التي يحاسب بها الإنسان نفسه:

أن يحاسب نفسه أولا على الفرائض، فإن تذكر فيها نقصا تداركه، إما بقضاء أو إصلاح.

ثم يحاسبها على المناهي، فإن عرف أنه ارتكب منها شيئا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى.

ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مشت إليه رجلاه، أو بطشت يداه، أو سمعته أذناه: ماذا أرادت بهذا؟ ولم فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته؟

ويعلم أنه لابد أن ينشر لكل حركة وكلمة منه ديوانان: ديوان لم فعلته؟ وكيف فعلته؟

فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني سؤال عن المتابعة.

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان – ابن القيم – ج١ ص٨٣

المحاسبة لا بدّ منها:

محاسبة النفس إثر كل عمل أمر ضروري، تظهر به المحاسن والمعايب.

ومحاسبتها في آخر العام يعلمها بتقصيرها في حق خالقها، ويحمسها أن تعود مقبلة عليه في العام القادم.

وقد جعل الله من أيامه ما فيه عبر تعيد للإنسان صلته بربه جل وعلا.

كتاب اللقاء الشهري – محمد بن صالح العثيمين – ج٢٧ ص١

محاسبة النفس نعمة من الله عز وجل:

محاسبة النفس نعمة من الله عز وجل، يحاسب الإنسان نفسه خالياً فريداً على ما ضيع من حقوق الله وحقوق العباد، ويحاسب نفسه وهو بين أهله، ويحاسب نفسه وهو بين أصدقائه، ويحاسب نفسه في كل حركاته وسكناته وهذا أكمل ما تكون عليه المحاسبة، يحاسب نفسه في جوارحه؛ في اللسان، كان بعض السلف يعد الكلمات التي يتكلم فيها من الجمعة إلى الجمعة، كما روى ذلك أبو نعيم في الحلية.

أُثر عن ابن دقيق العيد رحمة الله عليه، الإمام الجليل صاحب الإحكام، أنه قضى في قضية، فلما انتهى من القضية اتهمه أحد الخصمين بأنه جار في حكمه، وأنه لم يحسن القضاء، فقال له: أتتهمني؟! والله الذي لا إله إلا هو ما تكلمت بكلمة منذ أربعين عاماً إلا وأعددت لها جواباً بين يدي الله عز وجل.

كان السلف رحمهم الله يراقبون الله في أقوالهم، يراقبون الله في أسماعهم وأبصارهم وفي قلوبهم، محاسبة النفس تكون في القلوب، فلا يدخل في قلبه غل على مسلم، ويكون قلبه صافياً نقياً يحب لإخوانه ما يحب لنفسه، يحاسب نفسه في سمعه، ويخشى أنه في يوم من الأيام ينظر الله إليه وقد أصغى إلى حرام، بمجرد إحساسه بالحرام إذا به ينفر عنه، فالحقيقة إذا أراد الله بالعبد خيراً هيأه لمحاسبة نفسه، وشرح صدره لها.

كتاب دروس - الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي – ج٣٣ ص٥

لا يلزم من المحاسبة المشقة على النفس

لا ينبغي للإنسان أن يشق على نفسه، بل ينبغي أن يسوس نفسه؛ إذا وجد منها نشاطا في العبادة عمل واستغل النشاط، وإذا رأى فتورًا في غير الواجبات، أو أنها تميل إلى شيء آخر من العبادات وجهها إليه، حتى إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمر من نعس في صلاته أن ينام ويدع الصلاة؛ قال: "فإنَّ أحَدَكُمْ إذا صلّى وهو ناعِسٌ، لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ" (١).

ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصوم حتى يقول القائل: لا يفطر، ويفطر حتى يقول القائل: لا يصوم (٢)، وكذلك في القيام والنوم.

كتاب شرح العقيدة الواسطية – محمد بن صالح العثيمين – ج٢ ص٥٥

(١) صحيح البخاري (٢١٢) ومسلم (٧٨٦)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري (١٩٧٢، ١٩٧٣)، ومسلم (١١٥٧) من حديث ابن عباس وأنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم".

الإيمان بميزان الأعمال

نؤمن بالميزان، قال تعالى:
{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:٤٧]

وقال تعالى:
{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون:١٠٢-١٠٣]

قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية – عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين – ج٦٥ ص٥

قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

"لا تزولُ قدما ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ من عند ربِّه حتّى يُسألَ عن خمسٍ: عن عمرِه فيما أفناه، وعن شبابِه فيما أبلاه، ومالِه من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمِل فيما علِم"

أخرجه الترمذي (٢٤١٦) واللفظ له، والطبراني (١٠/٨) (٩٧٧٢)

أول ما يحاسب عليه العبد:

أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال الصلاة، وأول ما يقضى فيه بين الناس الدماء؛

لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، والدماء أعظم ما يعتدى به في حقوق الآدميين.

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم-:

«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ - تبارك وتعالى -: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ» (١)

كتاب شرح العقيدة الواسطية – محمد بن عثيمين ج٢ ص١٥٦
(١) أخرجه الترمذي رقم الحديث (٤١٣) واللفظ له، والنسائي، رقم الحديث: (٤٦٥)

الظلم والمظالم

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم-:

"أن الرب -عز وجل - ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فيقول: «أنا المَلِكُ، أنا الدَّيّانُ، ولا ينبغي لأحدٍ مِن أهلِ النارِ أن يدخُلَ النارَ وله عند أحدٍ مِن أهلِ الجَنَّةِ حقٌّ حتى أُقِصَّهُ منه، ولا ينبغي لأحدٍ مِن أهلِ الجَنَّةِ أن يدخُلَ الجَنَّةَ ولأحدٍ مِن أهلِ النارِ عنده حقٌّ حتى أُقِصَّهُ منه، حتى اللَّطْمَةَ»

أخرجه أحمد (١٦٠٤٢) واللفظ له، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٩٧٠)

قال الشافعي - رحمه الله -:

«بئس الزاد إلى المعاد: العدوان على العباد»

سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤١)

كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون:

قال تعالى:

{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ} [القصص: ٦٥] .

قال قتادة: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فيسأل عن المعبود وعن العبادة.

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان – ابن القيم – ج١ ص٨٣

النعيم المسؤول عنه

قال تعالى: {ثم لتسألن يومئذ عن النعيم} [التكاثر: ٨].
قال محمد بن جرير: «يقول تعالى: ثم ليسألنكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم فيه؟ ومن أين وصلتم إليه؟ وفيم أصبتموه؟ وماذا عملتم به؟».

وقال قتادة: «إن الله سائل كل عبد عما استودعه من نعمته وحقه».

والنعيم المسؤول عنه نوعان:
نوع أخذ من حله وصرف في حقه، فيسأل عن شكره.
ونوع أخذ بغير حله، وصرف في غير حقه، فيسأل عن مستخرجه ومصرفه.
فإذا كان العبد مسؤولا ومحاسبا على كل شيء، حتى على سمعه وبصره وقلبه، كما قال تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً} [الإسراء: ٣٦] فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب.

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان – ابن القيم – ج١ ص١٤٢

محاسبة الإنسان على ما أسره من الذنوب لا على حديث النفس:

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في سجوده: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ، وجِلَّهُ، وأَوَّلَهُ وآخِرَهُ وعَلانِيَتَهُ وسِرَّهُ) (١)
هل يحاسب الإنسان على ما أسر في نفسه؟

يحاسب على ما أسره عن الناس من الذنوب، أما حديث النفس فقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه معفو عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتي عَمَّا حَدَّثَتْ به أَنْفُسَهَا، ما لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بهِ) (٢)

لكن سره الذي أسره على الناس من الذنوب هو الذي يحاسب عليه.

كتاب لقاء الباب المفتوح – محمد بن صالح العثيمين – ج١٤٧ ص١٣
(١) أخرجه مسلم (٤٨٣) صحيح ابن حبان (١٩٣١)
(٢) صحيح مسلم (١٢٧)

لا يلزم من المحاسبة المؤاخذة

لا يلزم من المحاسبة المؤاخذة؛ لقوله تعالى: {فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ} [البقرة:٢٨٤]

ويؤيده ما ثبت في الصحيح أن الله عز وجل يخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه:

«فيقولُ: عَمِلْتَ كَذا وكَذا؟ فيقولُ: نَعَمْ، ويقولُ: عَمِلْتَ كَذا وكَذا، فيقولُ: نَعَمْ، فيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يقولُ: إنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ في الدُّنْيا، فأنا أغْفِرُها لكَ اليَومَ» (١).

بعد المحاسبة إما أن يغفر للإنسان؛ وإما أن يعذبه؛ لقوله تعالى: {فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ} فإن كان كافرا عُذّب؛ وإن كان مسلمًا

كان تحت المشيئة، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: ٤٨].

كتاب تفسير القرآن الكريم – محمد بن صالح العثيمين – سورة الفاتحة والبقرة – ج٣ ص٤٤٠
(١) صحيح البخاري (٦٠٧٠) • أخرجه مسلم (٢٧٦٨)

لا يؤخذ أحد بجريرة غيره:

لا يؤخذ أحد من الخلق بجريرة غيره؛ قال تَعَالَى:

{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٣ - ١٤]

فكل إنسان يلازمه عمله خيره وشره ولا يتعداه إلى غيره، فلا يحاسب بعمل غيره ولا يحاسب غيره بعمله

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [فاطر: ١٨]

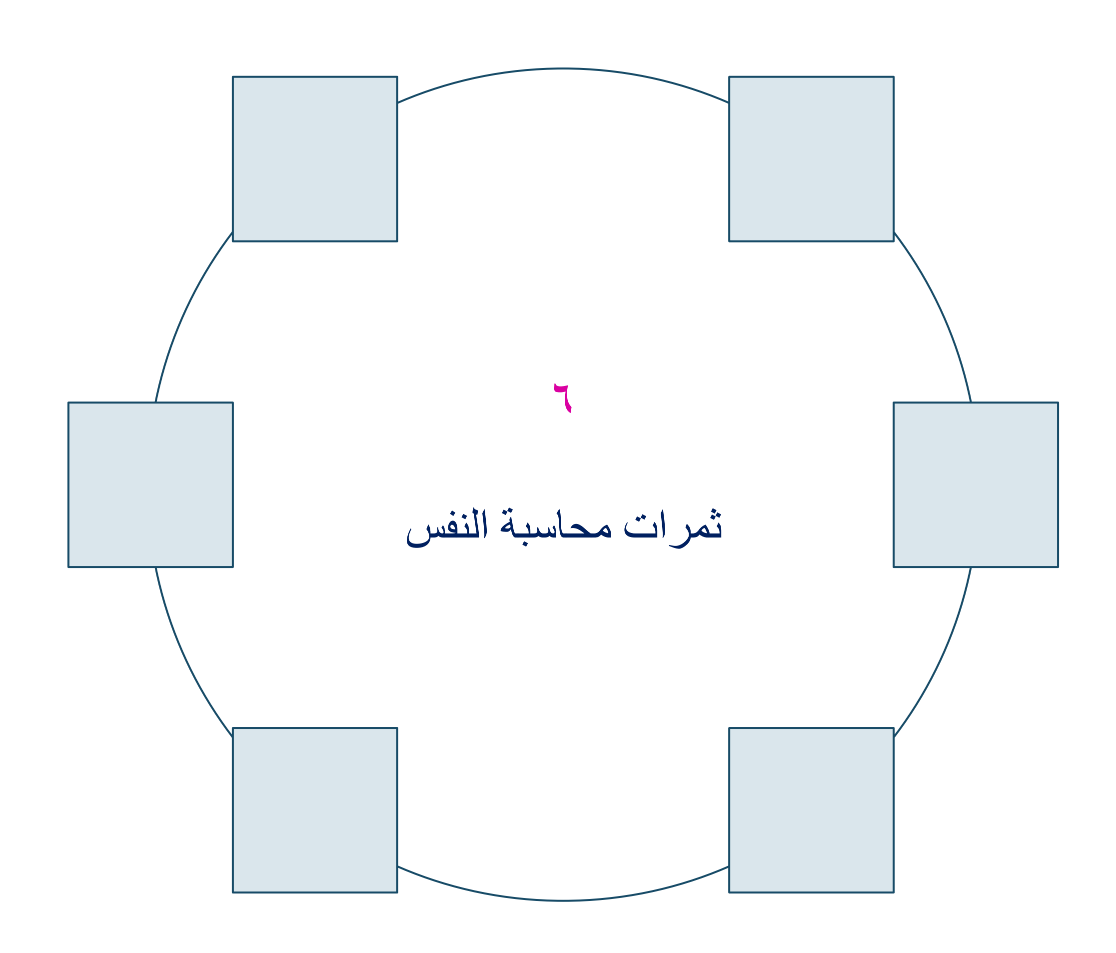
كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن ناصر السعدي – ص٤٥٥

النفس اللوامة

قال عطاء عن ابن عباس: "كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة، تلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد إحسانا، وتلوم المسيء نفسه أن لا يكون رجع عن إساءته".

وقال الحسن: "إن المؤمن، والله، ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته؛ يستقصرها فى كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر ليمضي قدما لا يعاتب نفسه".

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان – ابن القيم – ج١ ص٧٧


٦
ثمرات محاسبة النفس

وقال وهب من منبه :

"حق على العاقل أن لا يشغل عن أربع ساعات، ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه على نفسه، وساعة يخلو بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ولا يحرم، فإن هذه الساعة عون على الساعات وإجمام للقوة"

كتاب مختصر منهاج القاصدين – نجم الدين المقدسي – ص٣٧٠

١- معرفة حق الله تعالى على العبد

من فوائد محاسبة النفس: أنه يعرف بذلك حق الله تعالى عليه، ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه، وهى قليلة المنفعة جدا.

فمن أنفع ما للقلب النظر فى حق الله على العبد؛ فإن ذلك يورثه مقت نفسه والازدراء عليها، ويخلصه من العجب ورؤية العمل، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي الله، واليأس من نفسه، وأن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته، فإن من حقه أن يطاع ولا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

فمن نظر فى هذا الحق الذى لربه عليه علم علم اليقين أنه غير مؤد له كما ينبغي، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة، وأنه إن أحيل على عمله هلك.
فمحاسبة النفس هو نظر العبد فى حق الله عليه أولا، ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانيًا.

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان – ابن القيم – ج١ ص٨٤

٢- الاطلاع على عيوب النفس:

فى محاسبة النفس الاطلاع على عيوبها.

ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته، فإذا اطلع على عيبها مقتها فى ذات الله تعالى.

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان – ابن القيم – ج١ ص٨٤

قال الله تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}

[الأعراف: ٢٠١]

٣- بذل الجهد في إصلاح النفس:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: ١٨]

هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرًا في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة.

والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطا، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه، فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغده، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم - مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين - ومن غفل عن ذكر الله، ونسي حقوقه، فشقي في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرون هم الخاسرون.

كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن ناصر السعدي – ص٨٥٣

٤ - الاستعداد للقاء الله تعالى

كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله:

"حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوا أنفسَكم قبل أن تُوزنوا، فإنَّه أخفُّ عليكم في الحسابِ غدًا أن تُحاسِبوا أنفسَكم اليومَ، وتزيَّنوا للعَرضِ الأكبرِ، كذا الأكبرِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾"

أخرجه أحمد في ((الزهد)) (٦٣٣)، وابن أبي الدنيا في ((محاسبة النفس))

واقعنا مع المحاسبة

واقعنا يثقل علينا المحاسبة؛ لماذا؟ لأن تصرفاتنا في يومنا وفي ليلتنا كثيرة، والمخالفات كثيرة، والله يعفو ويسامح، فإذا أراد أن يحاسب كيف يحاسب؟ لا يحيط بما قال فضلاً عما فعل، أقواله لا يستطيع أن يحيط بها، كلامه كثير، تجد الإنسان ثرثار في أي مجلس، يتصدر ويتكلم بحق وباطل مباح ومحظور وفي غيبة ونميمة، وقد يقول كلمة حق، ثم بعد ذلك يردفها .. كلام كثير

هذا واقع كثير من المسلمين، هذا الذي يثقل المراقبة، لكن عند سلف هذه الأمة الذين يراقبون ((أن تعبد الله كأنك تراه)) لأن أقوالهم قليلة، وخلطتهم يسيرة،

وأضر شيء على الإنسان الخلطة، هي التي تجر له الأقوال والكلام؛ لأنه ما يمكن يخالط الناس ويسكت.

لكن لو انزوى في بيته أو في مسجده أو في مكتبه وجلس يقرأ القرآن، ويذكر الله جل وعلا، وينظر في كتب العلم، وإذا نشط صلى له ركعتين، وما أشبه ذلك، هذا مراقبته ومحاسبته سهلة، لأن الكلمات التي تكلم بها مع الناس يسيرة ومعدودة، والوقت وقت الفراغ عنده بعد شغل عمره وأنفاسه في طاعة الله وقت فراغه يسير.

كتاب شرح المنظومة الميمية في الآداب الشرعية - عبد الكريم الخضير – ج٨ ص٢٣

الخاتمة

قال سهل بن عبد الله رحمه الله:

«لم يتزيَّن القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان»

كتاب إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي ج ٤ ص٣٩٧